

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: 36 - 37]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا أَتَمَّ الْكَلَامَ عَلَى مَا حَوَتْهُ هَذِهِ السُّورَةُ، وَأَخْبَرَ عَمَّا يَحْكُمُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ؛ خَتَمَ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَلَمَّا أَفَادَ قَصْرُ الْحَمْدِ عَلَيْهِ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْمَطْلُوقُ، وَأَنَّهُ لَا كُفَاءَ لَهُ؛ عَظَفَ عَلَيْهِ بَعْضُ اللُّوَاظِمِ لَذَلِكَ؛ تَنْبِيهًا عَلَى مَزِيدِ الْإِعْتِنَاءِ بِهِ؛ لِدَفْعِ مَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْ ادِّعَاءِ الشَّرِّكَاءِ الَّتِي لَا يَرْضَوْنَهَا لَأَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الْآيَةُ^(١).

وَأَيْضًا بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَا حَوَتْهُ السُّورَةُ مِنْ آيَاتِهِ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّلَائِلِ الَّتِي فِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ عَلَى الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ؛ أَثْنَى تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْكِبَرِيَاءُ﴾: أَصْلُ الْكَلِمَةِ مِنَ الْكِبَرِ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِي الْأَعْيَانِ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِلْمَعْنَى مِثْلَ الْكِبَرِ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالرَّفْعَةِ وَالشَّرَفِ⁽³⁾، إِمَّا بِحَسَبِ الْأَصْلِ، وَهُوَ الْحَقِيقَةُ فِيهِ، وَإِمَّا بِحَسَبِ اعْتِقَادِ الْمُتَكَلِّمِ، كَمَا فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: 63]، فَسَمَّاهُ كَبِيرًا

الله تعالى أعلى
وأكبر من حمد
الحامدين،
ونعمه أجل
وأعظم من شكر
الشَّاكرين

(1) البقاعي، نظم الدرر: 3/ 603.

(2) المراغي، تفسير المراغي: 25/ 167.

(3) الأزهرى، تهذيب اللغة، والرَّاعِب، المفردات: (كبر).

بحسب اعتقادهم فيه لا لقدرة ورفعة له على الحقيقة، ويُقال: كَبُرَ بِالضَّمِّ يَكْبُرُ، أي: عَظُمَ، فهو كَبِيرٌ، والكبير والمتكبر: العظيم، والتَّاء في المتكبر للتفرد والتَّخْصُّص، وليست هي تاء التَّعَاطِي والتَّكْلُف⁽¹⁾، والكبرياء على وزن (فعلياء) من الكبر، بمعنى العظمة والملك⁽²⁾، والتَّرفُّع عن الانقياد لعظمة المتكبر وقوَّة سلطانه⁽³⁾، وذلك لا يكون في الحقيقة إلاَّ لله تعالى، ولا يستحقُّه غيره سبحانه.

❁ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

فَلله الحمد على جلاله وسلطانه وعلى نعمه على خلقه، وعلى حسن تدبيره، وله الحمد على ربوبيَّته للسَّمَاوَاتِ وَرَبوبيَّته للأَرْضِ؛ إذ خلق الخلق، وربَّاهم، وأنعم عليهم بالنعم الظَّاهرة والباطنة، وله الجلال والعظمة والسُّلْطَان في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، فكلُّ شيءٍ خاضع له، مفتقر إليه دون ما سواه من الآلهة والأنداد، وهو العزيز الذي لا يمانع، ولا يغالب، الحكيم في أفعاله وأقواله، تقدَّس ربُّنا، جلَّت قدرته، وعظمت آلاؤه⁽⁴⁾، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في الحديث القدسي: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا؛ أَدْخَلْتُهُ جَهَنَّمَ»⁽⁵⁾.

❁ الإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

مُنَاسِبَةُ التَّعْقِيبِ بِالفاء في قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾:

لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ظُهُورِ مَلِكِهِ لَجْمِيعِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَرَ عَنِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ بِيَدِهِ تَعَالَى، فَأَدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي رَحْمَتِهِ وَجَنَّتِهِ، وَأَدْخَلَ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ؛ لَتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ، وَظَهَرَ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (كبر).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (كبر).

(3) الرَّاغِب، المفردات: (كبر).

(4) الرَّاغِب، تفسير الراغب: 167/25، والسَّعْدِي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 778.

(5) مسند أحمد، رقم الحديث: (8893)، وسنن ابن ماجه، تح: عبد الباقي، رقم الحديث: (4174).

رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ
الْعَالَمِينَ مُسْتَحَقُّ
لِكُلِّ حَمْدٍ وَثَنَاءٍ
جَمِيلٍ

الله تعالى هو
المستحقُّ للحمد
والكبرياء؛ إذ
ظهر للعالمين أنَّ
الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ
وعموم الجزاء
بيده سبحانه

به وصفه بالجلال والكمال وتعالیه على جميع خلقه وأوصافهم، كما أنه لما كان الكلام عن أحوال القيامة، التي تظهر فيها إضافة كلفة الأشياء وجزئياتها إليه تعالى، فلما كان الأمر كذلك؛ ناسب اختيار لفظ الحمد وتخصيصه بالله تعالى⁽¹⁾؛ تفرغاً على ما قبله بالفاء في قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾؛ ليظهر بالبناء على ما تقدم الثناء عليه تعالى بالحمد الدال على تعاليه على جميع معاني الخلق وأوصافهم، فهو المستحق للحمد والكبرياء؛ إذ ظهر لجميع العالمين أن الثواب والعقاب وعموم الجزاء بيده سبحانه، وأيضاً جاءت الفاء؛ لتفريع قصر الحمد على الله تعالى على ما حوته السورة من الطاف الله تعالى فيما خلق، وأرشد، وفيما تفضل، وأنعم، وما سخر السماوات والأرض للخلق، ومما اشتملت عليه من الدلائل الآفاقية والأنفسية المنطوية على البراهين الساطعة والنصوص القاهرة في المبدأ والمعاد، ومما تضمنته من إنزال الشريعة؛ لإقامة العدل في الأرض، وما أنعم على المؤمنين في الدنيا والآخرة، وما أوعده بالمعرضين عن الحق المكذبين له المحتجين عليه، وما أخبر به من العقاب عليهم، فلما كان ذلك كله من الله؛ كان دالاً على اتصافه بصفات العظمة والجلال، وعلى إفضاله على الناس بدين الإسلام؛ كان حقيقاً بإنشاء قصر الحمد عليه⁽²⁾.

نوع اللام ودلالاتها في قوله: ﴿فَلِلَّهِ﴾:

اللام في قوله: ﴿فَلِلَّهِ﴾؛ للاختصاص اللائق المقيد بجمله القصر، بمعنى أن الحمد على الحقيقة مختص بالله تعالى، ولا يليق إلا به، وتحتمل أن تكون للاستحقاق، بمعنى: أن الحمد مستحق لله تعالى، ولا مانع من اجتماع المعنيين؛ لعظيم جلاله وكثرة فضله

الحمد الكامل
والمطلق على
الحقيقة مختص
بالله تعالى،
ولا يليق إلا به

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9 / 236.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25 / 377.

وإحسانه على جميع الخلق، أي: لا يكون الحمد إلا لله لاختصاصه به ولاستحقاقه له سبحانه، ويؤيد هذا المعنى تفرُّعه بالفاء؛ عطفًا على ما تقدّم من حكاية أخبار القيامة، وما يجري فيها للعالمين.

نكتة تقديم المسند على المسند إليه:

أفاد تقديم المسند على المسند إليه في قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ القصر، وهو من قبيل قصر الصفة، وهو الحمد على الموصوف، وهو (الله)، وهو قصر حقيقي، أي: فله تعالى وحده الحمد، فهو المحمود ولا محمود بحق سواه.

نكتة مجيء الحمد بصيغة القصر:

جاء الحمد بصيغة القصر في قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ دون أن يقال: (فالحمد لله)؛ لمناسبة السياق، فقد جاءت جملة القصر على تقدير الجواب بعد إرغام المكذب بالبعث وقهره ووقوع الأمر، مطابقًا لما أخبر به الرُّسل عليهم الصَّلَاة والسَّلَام، وظهور ما كُذِّب به الجاحد، فعند ظهور الثَّواب للمؤمنين والعقاب للكافرين المكذِّبين، كأنَّ سائلًا سأل: لمن الحمد ومن أهله ومن يستحقه، فكان الجواب على ذلك: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

فائدة (ال) في ﴿الْحَمْدُ﴾:

(ال) في ﴿الْحَمْدُ﴾ لاستغراق الجنس، فيكون اللفظ على معنى العموم، وصيغ العموم كَلِيَّة، فيستغرق جميع أنواع المحامد، بمعنى أنَّ جميع المحامد مختصة بالله تعالى وحده على الإطلاق، فالمراد بالحمد: الحمد الكامل، أمَّا مجرَّد الحمد؛ فلا يختصُّ بالله، فقد يُحمَد الإنسان على خِصَلَةٍ من الخِصال، فيُحمَدُ بقدرِ هذه الخِصَلَةِ، أمَّا الحمد الكامل الواسع؛ فهو مختصُّ ومستحقُّ لله وحده⁽²⁾.

(1) الغرناطي، ملاك التَّأويل: 12 / 1.

(2) ابن عثيمين، تفسير سورة العنكبوت، ص: 386.

لله تعالى وحده
الحمد، فهو
المحمود، ولا
محمود بحق
سواه

اقتضى السياق
والسباق مجيء
الحديث عن
الحمد بصيغة
القصر

جميع المحامد
مختصة بالله
تعالى وحده
على الإطلاق

دلالة الجملة الخبرية: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾:

تحتمل جملة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ أن تكون خبرية قصد بها الثناء على الله تعالى بمضمونها، أي: الإخبار بأن الله تعالى هو المستحق للحمد المختص به، ويجوز أن يكون الخبر مستعملاً في معناه الكنائي مع قصد الخبرية، فيجمع بين معنيين، بمعنى الإخبار عن الثناء على الله تعالى، وأمر الناس أن يقصروا الحمد عليه سبحانه، وتحتمل أن تكون خبرية اللفظ إنشائية المعنى، على اعتبار أن المقصود من الصيغة الأمر بحمد الله تعالى⁽¹⁾؛ تعليمًا للناس كيف يثنون عليه سبحانه، فكأنه قيل: فإذا علمتم ما يكون من شأن الله تعالى في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة؛ فقولوا: لله الحمد، ربّ السماوات وربّ الأرض؛ إيمانًا بوجوب حمده تعالى على أحكامه على العباد وأفعاله فيهم.

من نِعِمَّ الله
تعالى على
العباد أن
علمهم كيف
يحمدونه،
ويثنون عليه

بلاغة الجمع بين عنوان الألوهية والرُّبوبيّة:

لما جعل الحمد مختصًا بعنوان الألوهية، بمعنى: أن الحمد لا يليق إلا بالله تعالى، وهو مختص به؛ أتبعه بوصف الرُّبوبيّة على سبيل البدل؛ على اعتبار أن البدل والمبدل منه كلاهما مقصودان؛ للإشعار بأنه كما استحق الحمد بوصف ألوهيته، فإنه يستحقه كذلك بوصف ربوبيّته، ولكونه تعالى مالكا مدبرا خالقا للسَّمَاوَاتِ ولِلْأَرْضِ، أو يقال: إجراء وصف ربّ السَّمَاوَاتِ على اسمه الجليل (الله) إيماءً إلى علّة قصر الحمد على الله، سواء أكان الكلام على معنى الخبر أم الإنشاء؛ تأكيدًا لما اقتضته الفاء في قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾⁽²⁾، كما أنه لما جاء الكلام في سياق تقرير الكذّابين وتوبيخهم يوم القيامة، وذلك عند انقطاع

كما استحقّ
الحمد بوصف
ألوهيّته فإنه
يستحقّه كذلك
بوصف ربوبيّته

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 377/25.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 377/25.

الدَّعَاوى ووضوح الأمر؛ أتبع حمده تعالى بقوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

دلالة إضافة لفظ ﴿رَبِّ﴾ إلى ﴿السَّمَوَاتِ﴾:

لما جاء حمدُ الله تعالى في سياق حُكمه تعالى في الخلق الذي يشمل ما في السَّمَاوَات وما في الأرض؛ تَبَّه إلى أَنَّهُ تعالى يستحقُّ الحمد لوصف ألوهيَّته، ولوصف كونه مدبِّر السَّمَاوَات ومدبِّر الأرض وخالقًا لهما ومتصرِّفًا فيهما.

سُرُّ تكرار لفظ ﴿رَبِّ﴾ وإضافته إلى لفظ ﴿الْأَرْضِ﴾:

كرَّر لفظ الرُّبُوبِيَّة في العطف في قوله: ﴿وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾، ولم يقل: (رَبَّ السَّمَاوَات والأرض)؛ لأنَّ المقامَ مقامُ بيانٍ وتفصيلٍ وتأكيد، بمعنى كما أَنَّهُ تعالى يستحقُّ الحمد؛ لأنَّه خالق السَّمَاوَات ومالكها ومدبِّرها، وهو المتصرِّف فيها، فإنَّه يستحقُّه؛ لأنَّه خالق الأرض ومالكها ومدبِّرها، وهو المتصرِّف فيها، بمعنى: أَنَّهُ يستحقُّ الحمد على سبيل النَّظَر إلى الجمع في ربوبيَّته للسَّمَاوَات والأرض، وعلى سبيل النَّظَر إلى ربوبيَّته تعالى للسَّمَاوَات على حدة، وللأرض على حدة؛ تعظيمًا ل شأنِ خلقه لكلِّ منهما، وأيضًا في تكرار لفظ الرُّبُوبِيَّة تأكيدٌ وإيدانٌ بأنَّ ربوبيَّته تعالى لكلِّ مِنْهَا بطريق الأصالة⁽²⁾، وفيه كذلك تنويهٌ بشأنها؛ لأنَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحِقُّ حَمْدُهُ على أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَأَمَّا أَهْلُ السَّمَاءِ؛ فَقَدْ حَمِدُوهُ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: 5]، وَأَمَّا أَهْلُ الْأَرْضِ؛ فَمَنْ حَمَدَهُ مِنْهُمْ؛ فَقَدْ أَدَّى حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ، وَمَنْ حَمِدَ غَيْرَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ؛ فَقَدْ سَجَلَ عَلَى نَفْسِهِ سِمَةَ الْإِبَاقِ، وَكَانَ بِمَا أَوَى النَّارَ مَحَلًّا اسْتِحْقَاقٍ⁽³⁾.

الحمدُ مستحقٌّ
لله خالق
السَّمَاوَات
وَالْأَرْضِ
ومدبِّرهما

(1) الغرناطي، ملاك التَّأْوِيل: 1/ 13.

(2) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السَّليم: 76/ 8.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِير والتَّنْوِير: 377/ 25.

سبب تكرار لفظ الرُّبُوبِيَّة:

أعاد ذِكْرَ الرَّبِّ في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ تَبْيِيهاً على أَنَّ حِفْظَهُ لِلخَلْقِ وَتَرْبِيَّتَهُ لَهُمْ ذُو أَلْوَانٍ بِحَسَبِ شُؤْنِ الخَلْقِ؛ فَحِفْظُهُ لِهَذَا الْجُزْءِ على وَجهِ يُغَايِرُ حِفْظَهُ لْجُزْءٍ آخَرَ، وَحِفْظُهُ لِلْكَلِّ - مِنْ حَيْثُ هُوَ كُلٌّ - على وَجهِ يُغَايِرُ حِفْظَهُ لِكُلِّ جُزْءٍ على حِدَتِهِ، مع أَنَّ الْكُلَّ بِالنِّسْبَةِ إلى تَمَامِ الْقُدْرَةِ على حَدٍّ سَوَاءٍ⁽¹⁾.

حَفِظَ اللهُ تَعَالَى
لِلخَلْقِ ذُو أَلْوَانٍ
بِحَسَبِ شُؤْنِ
الْخَلْقِ وَتَنَوُّعِهِمْ

معنى تعريف لفظ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ وجمعها:

﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمعُ عَالَمٍ، والمرادُ بِهِمْ في هذا الموضع: جميعُ الخلقِ، فَكُلُّ جَنَسٍ مِنَ المَخْلُوقَاتِ عَالَمٌ، تقول: عَالَمُ الْإِنْسِ، وعَالَمُ الْجِنِّ، وعَالَمُ الْمَلَائِكَةِ، وعَالَمُ الْحَيَوَانِ، وغير ذلك، ومعنى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَنَّهُ تَعَالَى مُدَبِّرُ الْعَالَمِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْمَلَائِكَةِ وَكُلِّ الْحَيَوَانَاتِ، وَهُوَ مَالِكُهَا وَحَافِظُهَا وَمُصَرِّفُهَا على مَا أَرَادَ⁽²⁾.

الله مدبِّرُ الخَلْقِ
أَجْمَعِينَ

دلالة عطف جملة: (لَهُ الْكِبْرِيَاءُ) على السَّابِق:

عُطِفَتِ جملة: (لَهُ الْكِبْرِيَاءُ) على جملة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾، فتكون جملة: (لَهُ الْكِبْرِيَاءُ)، وما تَعَلَّقَ بِهَا في حَيْزِ التَّفْرِيعِ بِالفَاءِ في قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾، وَيتَفَرَّعُ على حَكْمِهِ في الخَلْقِ - وَجميع ما ذُكِرَ في مَقْتَضَى التَّفْرِيعِ - قَصْرُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَيْهِ تَعَالَى، أَي: فَيَتَفَرَّعُ على مَا ذُكِرَ قَصْرُ الْحَمْدِ عَلَيْهِ وَتَعَالَى، وَقَصْرُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَيْهِ كَذَلِكَ.

نفى الْكِبْرِيَاءِ عن
غِيَرِهِ

نوع اللّام ودلالاتها في (لَهُ):

اللام في (لَهُ) للاختصاص، بمعنى: الْكِبْرِيَاءُ على الْحَقِيقَةِ مَخْتَصٌّ بِاللّهِ تَعَالَى، وَلَا يَلِيْقُ إِلَّا بِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَحْتَمِلُ اللّامُ أَنْ تَكُونَ لِلإِسْتِحْقَاقِ، بِمَعْنَى: أَنَّ الْكِبْرِيَاءَ مُسْتَحَقٌّ لِلّهِ تَعَالَى، وَلَا مَانِعَ مِنْ اجْتِمَاعِ الْمَعْنِيَيْنِ، كَمَا فِي لَامِ (لِلَّهِ الْحَمْدُ)، بِمَعْنَى أَنَّ الْكِبْرِيَاءَ

الْكِبْرِيَاءُ على
الْحَقِيقَةِ مَخْتَصٌّ
بِالله تَعَالَى،
وَلَا يَلِيْقُ إِلَّا بِهِ
سُبْحَانَهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18 / 116.

(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 13 / 367.

مختصَّ به تعالى، وهو وحده يستحقُّه، ويؤيِّد هذا المعنى عطفه بالواو على الفاء التَّفْرِيعِيَّة في قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾، أي: لما يظهر من آثار كبريائه في حكمه على خلقه يوم القيامة، فله السُّلطان والقهر والعظمة، فلا منازع ولا معترض ولا أحدَ خارجاً عن حكمه.

دلالة تقديم (لَهُ) على المسند إليه:

لا عظمة ولا
سلطان لأحدٍ
على الحقيقة إلا
لله تعالى

أفاد تقديم المسند على المسند إليه في قوله: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ قَصْرَ الكبرياء عليه تعالى، وإنَّما جاء الكلامُ بطريق القصر؛ لبيان ظهور آثار كبريائه تعالى في السَّمَاوَات والأرض وعظمتيه فيهما، والمعنى قصر العظمة والسُّلطان والقوَّة والقدرة عليه تعالى، فلا عظمة ولا سلطان لأحدٍ على الحقيقة إلاَّ لله تعالى.

معنى (ال) في ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾:

(ال) في لفظ ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾ للجنس، بمعنى: جنس الكبرياء وحقيقته مقصور على الله تعالى.

توجيه تخصيص ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾ بالذكر:

إذلالُ الله تعالى
لأعدائه وإعرازه
لأوليائه من آثار
كبريائه سبحانه

أوثر وصفُ ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾ بالذكر في هذه الآية دون غيره من أوصاف العظمة والجلال؛ لأنَّه أمْسُ بالمقام، وأقضى لحقِّ البلاغة؛ إذ الانتقام من الكفَّار، وعدم النُّصرة لهم، وإدخالهم النَّار، وعدم قدرتهم على الخروج منها، وعدم استعتابهم - وهم في النَّار - من آثار كبرياء الله تعالى وعظمتِه التي ظهرت في السَّمَاوَات والأرض، كما أنَّ إدخالَ المؤمنين الجنَّةَ وقصَّرها عليهم من آثار كبريائه، فلزم من ذكر كبريائه إذلال أعدائه وإعزاز أوليائه، وهو المناسب لختم السُّورة، واختير لفظُ الكبرياء على العظمة؛ لأنَّها أبلغ⁽¹⁾.

نكتة تقيد الكبرياء بكونه ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

فُيِّد وصفُ الكبرياء المقصور على الله تعالى بحرف الظَّرْفِيَّة

(1) القنوني، حاشية على تفسير البضاوي: 448 / 17.

الكبرياء أثر عظمته

﴿في﴾ في قوله: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مع أنه تعالى متَّصف بوصف الكبرياء، وهذا الوصف مقصور عليه سبحانه من غير تقييد بشيءٍ دون شيءٍ، فنكتةُ تقييد الكبرياء بكونه ﴿في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الإشعار بظهور آثار كبريائه وعظمته في السماوات والأرض وأحكامه القاهرة فيهما⁽¹⁾، فلما كان آثار كبريائه ظاهرة في السماوات والأرض، وكاننا ظرفاً للآثار؛ كان الكبرياء فيهما⁽²⁾، ففي تقييد الكبرياء بكونه في السماوات والأرض مبالغة في المعنى.

نكتة إظهار ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في موضع إضمارهما:

أظهر لفظ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مع تقدُّم ذكرهما قريباً، فكان الظاهر أن يقال: (وله الكبرياء فيهما)، لكنَّه عدل إلى الإظهار في موقع الإضمار لتفخيم شأن الكبرياء⁽³⁾، ولتحقيق رسوخ آثار تخصيص اتِّصافه تعالى بهذا الوصف الجليل فيهما.

مناسبة الجمع بين الثناء على الله ووصفه بالكبرياء:

جُمع بحرف العطف الواو بين الثناء على الله، وإثبات وصف الكبرياء له سبحانه، وكلا الخبرين (لله الحمد) و(له الكبرياء) جاء بطريق القصر، ومناسبة الجمع بينهما وقصرهما عليه سبحانه هو أنَّ الحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال ومحبهه تعالى وإكرامه، والكبرياء فيها عظُمته وجلاله، فأفاد أنَّ الثناء عليه تعالى، لا لكونه فضلاً من الحامد، فإنَّه تعالى مستغنٍ عن ثناء الحامدين، بمعنى أنَّ استدعاءه خلقه لحمده إنما هو لنفعهم وتزكية نفوسهم، فإنَّ له الكبرياء في السماوات والأرض، فهو غنيٌّ عنهم⁽⁴⁾،

تفخيم شأن
وصف الله
تعالى بالكبرياء

الثناء على الله
الغني عن
العباد لا مزية
فيه من الحامد

(1) الرَّمْشَرِيُّ، الكُشَاف: 4/ 294، والبيضاوي، أنوار التَّنْزيل: 5/ 110.

(2) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 148.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 76.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 378.

كما أنَّ في الجمع بينهما إشارة إلى أنَّ التَّوَجُّهَ إلى الله تعالى مبنيٌّ على ركنين: محبة الله بالتَّثَاء عليه والذُّلُّ له بإثبات وصف الكبرياء له، وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه⁽¹⁾.

مناسبة معنى الآيتين لمعنى الحديث القدسي:

من لطائف الآيتين هو أنَّه إذا ضُمَّت مع معنى الزُّبْدَةِ والخلاصة من قوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - وهو تصوير عظمة الله - معنى قوله: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وأخذت فائدة تقديم المسند على المسند إليه فيهما، الدَّالَّة على قصر الحمد والكبرياء عليه سبحانه؛ لمحت مسحاً من معنى الحديث القدسي⁽²⁾: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَعَني وَاحِدًا مِنْهُمَا؛ أَدْخَلْتُهُ جَهَنَّمَ»⁽³⁾.

نوع الواو في قوله: ﴿وَهُوَ﴾:

الواو في قوله: ﴿وَهُوَ﴾ عاطفة للجملة الاسميَّة على الاسميَّة، والعطف هنا من عطف أسلوب قصر الصِّفَةِ على الموصوف على مثله؛ ليفيد العطف الجمع بين المعطوفات على معنى إثبات هذه الأوصاف الجليلة لله تعالى، وقصرها عليه.

دلالة التَّعْبِيرُ بِالْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

أفاد التَّعْبِيرُ بِالْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ ثبوت مضمون الجملة، بثبوت هذين الوصفين لله تعالى، وثبوت ظهور آثارهما في خلقه، وجاءت الجملة بطريق القصر؛ بسبب مجيء المسند والمسند إليه معرفتين؛ للدَّلالة على قصر هذين الوصفين عليه سبحانه.

(1) السَّعْدِي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 778.

(2) الطَّبَّي، حاشية على الكشَّاف: 263/14.

(3) مسند أحمد، رقم الحديث: (8893)، وسنن ابن ماجة، تح: عبد الباقي، رقم الحديث: (4174).

مناسبة الآية
لمعنى الحديث
القدسي

نكتة تذييل السورة بذكر الوصفين ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

أتبع ما سبق من الآيات بذكر وصفي ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ للإشعار بأنه تعالى هو العزيز الغالب في خلقه وأمره، وأنه هو الحكيم في أمره وتدبيره في خلق الخلق والتصرف فيه، وفي إنزال الشرائع على الناس وحكمه فيهم، وفي بعثهم بعد مماتهم، وإقامة الحساب فيهم، وفي إثابة المؤمنين وعقاب المنكرين الكافرين، فكل ما فعله سبحانه هو بمقتضى عزته وحكمته؛ لأن العزة تشمل معاني القدرة والاختيار، والحكمة تجمع معاني تمام العلم وعمومه، وبهذه الخاتمة أذن الكلام بانتهاء السورة؛ فهو من براعة خواتم السور⁽¹⁾، فانطبق آخر السورة على أولها، وناسب تذييل السورة بهذين الوصفين دون غيرهما.

من براعة نظم
القرآن مطابقة
أول السورة
لآخرها

بديع ردة العجز على الصدر:

في قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ رد لعجز السورة وآخرها على صدر السورة وأولها في قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿٢﴾ [الجاثية: 2]؛ ليفيد أن إنزال الكتاب العظيم وخلق السماوات والأرض وما فيهما، إنما هو بعزته وحكمته، وأن البعث يوم القيامة والقضاء بين الناس يومئذ إنما هو بعزته وحكمته.

كل ما قدره
الله من الخلق
والتنزيل فبعزته
وحكمته

نكتة تقديم ﴿الْعَزِيزُ﴾ على ﴿الْحَكِيمُ﴾ في كل المواضع:

في كل المواضع التي افترن فيها هذان الاسمان في فواصل الآيات القرآنية؛ كان اسم الله ﴿الْعَزِيزُ﴾ يتقدم على ﴿الْحَكِيمُ﴾، وربما كان ذلك؛ لأن العزة صفة ذات، والحكمة صفة فعل، وربما كان ذلك؛ لأن العزة إذا لم تقترن بالحكمة؛ كانت قاهرة، ولا يردُّها شيء، فقدّمت الآية هنا العزة؛ لأن مشاهدة هذه الآيات، وطبيعة هذا التكليف، اقتضت ذلك، ثم أتبعها بالحكمة؛ لأنه من لوازمها.

العزة صفة ذات
والحكمة صفة
فعل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 378 / 25.

فائدة للمبالغة في الأبنية الصرفية:

في قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ جاءت الصفتان الكريمتان على بناء (فعل) الذي يقتضي المبالغة، وهذا يعني أن عزته فاقت كل عزة، وحكمته تجاوزت كل حكمة.

من لطائف ذكر أوصاف الله تعالى في الآيتين:

تعليق الانقياد
لله وتعظيمه
والثناء عليه
بمقامات العزة
والكبرياء
والحمد

في جمل القصر ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ و﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ و﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إرشادٌ للمخاطبين إلى أوامر جليلة، متعلقة بما يناسب كل جملة على طريق الكناية أو المجاز، فإنه لما قال: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾، وذكر أنه رب كل شيء في السماوات والأرض والعالمين؛ فإن مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب، فكأنه قيل: لله الحمد، فاحمدوه، وأثنوا عليه، ولما قال: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ دالاً على ظهور آثار كبريائه وعظمته في السماوات والأرض؛ حُقِّ لمثله أن يُكَبَّرَ، ويُعَظَّم، فكأنه قيل: وله الكبرياء، فكبروه، وعظموه، ولما قال: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حُقِّ للعزیز الغالب الحكيم في أفعاله وأقواله وتدبيره أن يُطَاعَ، ويُتَقَادَ له، فكأنه قيل: وله الكبرياء، فأطيعوه، وانقادوا له⁽¹⁾، وفي كلام الزمخشري والبيضاوي إشارة إلى هذا التوجيه⁽²⁾.

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضى وكفاية الراضى: 24/8، والآلوسى، روح المعاني: 160/13.

(2) الزمخشري، الكشاف: 294/4، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 110/5.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثية من الآية 16 إلى سورة محمّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثية من الآية 16 إلى سورة محمّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثية من الآية 16 إلى سورة محمّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-659-89-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"